منارات
manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (4976) السنة الثامنة عشرة الاربعاء (30) حزيران 2021

ميرلو بونتي
الوجودي المتمرد

"مفارقة التعبير": ميرلو بونتي في (المرئي واللامرئي)

أماني أبو رحمة

في كتابه (المرئي واللامرئي)، يواجه موريس ميرلو- بونتي معضلة مفادها أنه في محاولتنا الاقتراب من الشيء من خلال التفسير أو التنظير، فإننا في الواقع ننعزل عن خبرة "نعرفها" مسبقًا. "إن العالم هو ذلك الذي أدركه، إلا أن قربه المطلق يصبح بدوره، بشكل مستغلق، بعدًا معضلًا جديدًا حين نتفحصه ونعبر عنه". يشرح ميرلو-بونتي الإحباط من عدم قدرة اللغة على نقل التفاصيل الدقيقة للخبرة المجسدة، والصعوبة التي تصاحب محاولة نقل الانطباعات خارج التناقضات الثنائية والفئات الثابتة. يكتب: "ولكن بقدر تعايش القناعتين دون عسر في مسيرة الحياة، بقدر ما تقوض أحداهما الأخرى وبقدر ما تشيعان بيننا البلبلة اذا ما اختزلتا في اطروحات أو ملفوظات".

قد تنخرط الفلسفة في محاولة التعبير عن خبرتنا عن العالم، لكنها في الوقت نفسه "ليست معجما وهي لا تهتم "بدلالات الكلمات" ولا تبحث عن بديل لغوي للعالم الذي نراه، وهي لا تحوله إلى شيء مقول". هنا يفتح ميرلو-بونتي المجال لأسلوب أدبي أكثر حرفية ليأخذ التعبير عن العالم من الفلسفة. وبالمثل، فإن عالم الرسم غير اللفظي، المرتبط مع الأدب بـ "رابطة مشتركة" هي التعبير الإبداعي، قادر على إيصال ما تفتقده النظرية.

على الرغم من مهارة ميرلو-بونتي ككاتب، يشعر المرء أنه غير مرتاح في الجانر الذي اختاره، وأنه ربما كان يفضل أن يلتقط فرشاة ويرسم ما يحاول قوله. لأنه كما يكتب في (العين والفكر)، "الرسام، مهما كان، وبينما هو يرسم، يمارس نظرية سحرية للرؤية».

الكتابة التي تنتج عن الاعتراف بهذا العجز لا بد وأن تكون غامضة ومبهمة، تتأرج بين التقدم والتراجع كما لو كانت تخشى تخويف الشيء الذي تحاول التقاطه.

في الفصل الرئيسي من(المرئي واللامرئي) بعنوان (الإنشباك – التصالب)، يصل ميرلو- بونتي إلى قمة الشعرية في أسلوبه و كأنه يسير على أطراف أصابعه وهو أقرب ما يكون إلى لب فلسفته: بالضبط عند تلك النقطة "الأكثر صعوبة" التي تتطابق فيها الأفكار مع تجسدها اللحمي في الكلمات. لا تزال الفجوات والغموض ومشاكل التعبير على المستوى الشكلي للنص تنعكس في الفلسفة نفسها. وربما من المفارقات أن ما يظهر هو فلسفة الامتلاء. إذ من خلال الإدراك، نختبر "كلية" معجزة تجبرنا على رفض الشك والقبول بالعلاقة بين الوعي والعالم مهما كانت غامضة، فـ "نحن نرى الأشياء نفسها، العالم هو ما نراه". يتميز النص في كل مستوى بالتفاعلات المعقدة بين الغياب والحضور - المرئي واللامرئي. يتجسد هذا الشعور بالمفارقة في مفهوم اللحم، الذي يستخدمه ميرلو- بونتي كنوع من "النموذج الأولي للوجود". تثير كلمة "اللحم" ردود فعل قوية ومتناقضة. إنه مثير ووحشي في آن واحد، يستحضر أفكارًا متزامنة عن الرغبة واللحم الميت، عن الصلابة والتحول. اللحم حقيقي بلا شك، ومادي؛ وأن يتجسد، "أن يُجعل لحماً"، يعني أن يُحضر إلى الوجود، أن يكون حتمًا "هنا". ولكن في نفس الوقت، فإن اللحم عرضة للتغيير. اللحم ينمو، يمكن أن يصاب، ويموت. إن لحم جسدي هو ما يحيط بي، ويشكل حدودي، بينما هو أيضًا أوضح نقطة مشتركة بيني وبين رفاقي من البشر. على الرغم من اعتراضات ميرلو-بونتي على أن ما يقصده من توظيف الكلمة "ليس مادة، وليس فكرا، وليس جوهرا"، لا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة أن الاسم الذي يختاره لإعطاء هذا الجانب الأكثر مركزية في فلسفته عن الأنطولوجيا يستحضر معه كل هذه المادية والكثافة والجسدية. في الواقع، إنكاره للحمية اللحم، وإصراره على صرف أنظارنا عن تلك الأشياء التي تجذبنا اليها الكلمة بقوة، يخلق نوعًا غريبًا من الازدواجية التي يجب أن تكون جزءا من فهمنا لها. يتشكل هذا الفهم في فصل "الإنشباك - التصالب". هنا، تصبح الروابط بين نظرية الإدراك والأنطولوجيا أكثر وضوحًا من خلال استكشاف العلاقة بين الذات المجسدة والعالم. يقدم الفصل ليس فقط مفهوم اللحم، ولكن أيضًا مفاهيم مثل الانعكاس الإدراكي(المعكوسية)، والعلاقة التصالبية بين الجسد والعالم وتفاعل الجوانب المرئية وغير المرئية للخبرة.

في الفصل، تحضر الخبرة الجمالية كموقع لبروز مكثف للكينونة، ويطور ميرلو- بونتي حججه التي قدمها عن الرسم في (العين والفكر) فيما يتعلق بالموسيقى والأدب. وربما أن المثير بشكل خاص هو اقتراح نوع من الإبداع الانطولوجي. هناك نظرية للكينونة تنظر إلى الكائنات الفنية وكذلك إلى خبرة العالم من أجل الأهمية الانطولوجية وتعترف في كل عملية بالبناء النشط نفسه، بالصيرورة. يبدأ الفصل بفحص الطريقة التي يرتبط بها الجسد المُدْرِك بالعالم المُدْرَك، والذي يعيد ويوسع في الوقت نفسه ما بدأه ميرلو- بونتي في(فينومينولوجيا الإدراك). بين رؤيتي والعالم المرئي، يخبرنا ميرلو- بونتي بأسلوب مجازي، أن هناك "علاقة حميمة كالتي بين البحر والشاطئ". ومع ذلك، فإن هذه العلاقة الحميمة لا تميل إلى "انصهارنا فيه أو لانتقاله هو إلينا. إذا حينئذ ستتلاشى الرؤية لحظة حدوثها إما باختفاء الرائي او باختفاء المرئي". يصف ميرلو- بونتي ما يحدث على أنه نوع من العناية، أو "جس للأشياء بالبصر الذي "يكسوها بلحمه" ويحفظ لها "وجودها السيادي". هذه العملية المتناقضة ظاهريًا ممكنة فقط إذا توقفنا عن التفكير في الشيء المرئي بوصفه "جزءا من كيان مطلق الصلابة، ومتعذر القسمة، ومتاحًا بكامل عرائه لرؤية لا يسعها إلا أن تكون تامة أو معدومة" واعتباره بالأحرى "ضربا من مضيق بين آفاق خارجية وآفاق داخلية منفرجة دوما وأنه شيء ما يأتي ليلامس بلطف وليجعل عن بعد جهات متعددة من العالم الملون أو المرئي تتصادى، أنه تخلق معين وقولبة عابرة لهذا العالم، واذا ليس هو لون أو شيء بقدر ما أنه فرق بين أشياء وألون، إنه تبلر مؤقت للكائن الملون أو للمرئية، فبين الألوان والمرئيات المفترضة سنلتقي من جديد بالنسيج الذي يبطنها ويسندها ويغذيها والذي هو ليس شيئا وانما امكان وكمون ولحم للأشياء". "شكله الدقيق" إذا محاصر في شبكة من العلاقات المتبادلة مع الأشياء المرئية الأخرى، كلاهما موجود على الفور وبعيد زمنيا ومكانيا. من خلال التفكير بالإدراك بهذه الطريقة، يأمل ميرلو-بونتي في إعادة اكتشاف ليس المحتويات الخفية للوعي القائم بذاته، ولكن النسيج الضام الذي يبطن[الأشياء المرئية] ويسندها ويغذيها والذي هو ليس شيئا وانما امكان وكمون ولحم للأشياء". "بينما لا يُقصد به أي نوع من الجوهر بالمعنى الديكارتي، فإن مصطلح "اللحم"، كما يعترف ميرلو- بونتي، ليس مطابقة، و "لا تشبيه أو مقارنة غامضة". إنه يشير إلى "العلاقة الحميمة للتناغم المحدد مسبقًا" التي للجسد الرائي مع الأشياء المرئية؛ هذا هو السبب في أنني لا أرى الأشياء عن بُعد فحسب، بل إن نظري "يحيط بالأشياء المرئية ويجسها ويقترن بها.... وكأنما كان يعرفها قبل أن يعرفها».

طور ميرلو- بونتي فكرة أن الإدراك ينطوي على مشاركة نشطة من الأشياء المدركة من خلال فكرة الانعكاس الإدراكي. تم تقديم هذا الانعكاس لأول مرة ليس من خلال مفهوم الرؤية، ولكن من خلال اللمس. بعبارة أخرى، "إن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت يدي المحسوسة من الداخل يمكن الوصول اليها كذلك في نفس الآن من الخارج، فهي ملموسة هي ذاتها بالنسبة ليدي الأخرى على سبيل المثال، واذا أخذت مكانها بين الاشياء التي ألمسها تكون بمعنى منا واحدة منها، وتفتح في النهاية لى كيان ملموس هي كذلك جزء منه". كما هو الحال مع تجربة اللمس، كذلك الأمر بالنسبة لمجالات الإدراك الأخرى؛ بالإضافة إلى تداخل أدوار الذات والكائن، هناك تداخل (بدون تطابق) بين عوالم الملموس والمرئي. "يجب علينا"، كما يقول ميرلو- بونتي، "أن نعود أنفسنا على التفكير بأن كل ما هو مرئي محفور في الملموس، وكل كائن ملموس موعود بطريقة ما بقابلية الرؤية". يكتب في مكان آخر، "هذا التداخل غير العادي، الذي لا نفكر فيه أبدًا بشكل كاف، يمنعنا من تصور الرؤية كعملية فكرية من شأنها أن تَضع أمام العقل صورة أو تمثيلًا للعالم، عالمًا من الجوهر والمثالية". بدلًا من ذلك، يصبح النظر عملية حساسة. نظري ليس شيئًا يبقى داخل جسدي كتمرين لعقلي، بل إنه يتصل بالأشياء التي يراها. مثلما أمد يدي نحو ما ألمسه، وأوجد اتصالًا بين الجزء الخارجي من جسدي وسطح الشيء، كذلك تمتد رؤيتي للخارج، مما يخلق مسارًا للتفاعل بين آفاق جسدي وذلك الشيء المرئي. ما يظهر هنا هو عكس فكرة أن المكفوفين "يرون" الأشياء من خلال استخدام أيديهم. هذا هو شكل من أشكال اللمس من خلال العيون، "جس بالنظر". إذا أخذنا ذلك في الاعتبار ضمن هيكل الانعكاس، فسيترتب على ذلك أن الأشياء التي أنظر إليها أيضًا "تجسني"، تلمسني؛ إن النظر إلى العالم يعني أيضا الشعور به، وأن تُرى يعنى أن تُلمس أيضًا. فبدلا من الرؤية المنبثقة من الذات أو من العالم، تحدث الرؤية عندما يكون هناك تفاعل، "تبادل"، عندما يعود جزء من المرئي (على سبيل المثال، أنا) إلى بقية ما هو مرئي (مثل العالم). لذلك تتشكل الرؤية على أنها "رؤية [...] في حد ذاتها، والتي لا تنتمي إلى حقيقة الجسد ولا إلى حقيقة العالم - كما لو كانت على مرآتين تواجهان بعضهما البعض". لا تنتمي الصور المنعكسة إلى أي من السطوح على وجه الخصوص، بل "تشكل زوجا، زوجا أكثر واقعية من أي منهما". لذا فإن الرائي، وهو منخرط في ذلك الذي يراه، ما يزال هو ذاته الذي يرى ذاته؛ أنا نفسي مرئي ضمن المرئي الذي أوجه رؤيتي إليه. ومن ثم، "هنالك نرجسية أساسية لكل رؤية". لكن هذا لا يأتي فقط من حقيقة أنني أرى نفسي في المرئي، بل كما لو أن الأشياء المرئية توجه نظراتها إلي، كما لو أنني اختبر نفسي ليس فقط كمن يُرى من الخارج، ولكن في الواقع "مرئي من قبل الخارج". بهذا المعنى، "الرائي والمرئي يتبادلان بعضهما البعض ولم نعد نعرف من يَرى ومن يُرى"؛ هناك "رؤية" مجهولة وعامة. هذه العمومية التي تقع "في منتصف الطريق بين الفرد المكاني والزماني والفكرة، نوع من مبدأ مجسد يجلب معه اسلوب كيان في كل مكان يوجد فيه جزء صغير منه" هي ما يُطلق عليها اسم اللحم، الذي هو بهذا المعنى :اسطقس" كينونة. يربط عصبها بين الإنسان واللاإنساني، وتصبح الأشياء، "الخارج"، متحركة، وتعمل كبصاصين دائمين على كياننا.

وتمامًا كما انهار الحد الفاصل بين وعيي بالأشياء التي أراها والأشياء نفسها، كذلك بين الخط الفاصل بين الاستعارة والحقيقة. يطرح ميرلو- بونتي احتمال أن يكون لرؤيتي تأثير على العالم الخارجي الذي أنظر اليه الذي ينظر الي. تصبح خبرتي مع العالم "ذلك الاختلاط بالعالم الذي يتجدد عندي كل صباح مذ افتح عيني، وإلى تيار الحياة الادراكية هذا الذي بيني وبين العالم والذي لا يكف عن الخفقان صباح مساء، والذي يجعل أفكاري الأكثر سرية تغير عندي ملمح الوجوه والمناظر كما بالمقابل تساعدني الوجوه والمناظر تارة وتهددني طورا بما تبثه في حياتي عن الكيفية التي أكون بها إنسانا».

عن موقع الكاتبة في الفيسبوك

ميرلو بونتي.. المُدافع عن الالتزام الإنساني في العالم

كريستين جمال

موريس ميرلوبونتي، فيلسوف ومفكر فرنسي خضع لعدة مؤثرات في بنية إنتماءاته الفكرية، فقد تأثر بفينومينولوجيا "هوسرل" ووجودية "سارتر" وبالنظرية "الجشتالتية" التي وجهت اهتمامه نحو البحث في دور المحسوس والجسد في التجربة الإنسانية، ومن الصعب تحديد إلى أي المذاهب الفلسفية ينتمي ميرلوبونتي؛ إلا أن معظم النقاد يميلون إلى عدّه فينومينولوجيًا بالدرجة الأولى على الرغم من أنه قد خالف هوسرل في بعض الآراء الأساسية.

عمل ميرلوبونتي أستاذًا في جامعة ليون والسوربون والكوليج دو فرانس، أصدر عام ١٩٤٥ مع جان بول سارتر مجلة الأزمنة الحديثة، وفي عام ١٩٥٣ انفصل عن سارتر بسبب خلاف في بعض المسائل، ذات الطابع السياسي، وخصوصًا فيما يتعلق بالموقف من الماركسية، وذلك لأنه دافع عن فكرة الالتزام الإنساني في العالم وفي التاريخ.

أهم مؤلفاته: "بنية السلوك"، و"فينومينولوجيا الإدراك"، "مغامرات الجدل"، وانطلق ميرلوبونتي من الفينومينولوجيا، لكي يوضح صلة الإنسان بالعالم، وأكمل وجود حلقة لاتنفصم بين الذات والموضوع، لأن العالم هو إسقاط من جانب الذات، والذات تُحقق الإنسان والعالم تحقيقًا موضوعيًا. وأخذ ميرلوبونتي الإنسان انطلاقًا من واقعه المعيش، فكرةً وجسدًا وعقلا وعاطفة ووعيًا ولا وعي، محاولاً أن يجمع بين التجربة المعيشة والتأمل الفكري، وبناء على هذا الموقف طرح فلسفة الالتباس التي لاتريد أن تحلّ المشكلات بل أن تدرسها بعمق أكثر.

في علم النفس تأثر إلى حد كبير بنظرية الجشتالت، التي تقرر أن الجشتالت "الكلّ" معطى ظاهري مع العناصر مباشرة، ومقولتها الأساسية تتلخص في أن مجموع العلاقات بين العناصر ليس هو بعينه خاصية الكلّ؛ معارضة بذلك مذهب الترابطيين الذين يرون أن مجموع العناصر يساوي صفة الشكل الكلي. ويرى ميرلوبونتي أن الفلسفة هي علم وصفي لأحوال الشعور، ولم يأخذ بفكرة الاختزال الظواهري عند هوسرل، على الرغم من أنها نقطة أساسية في المذهب الفينومينولوجي لكنه يأخذ بفكرة القصدية التي ترى أن الشعور تجاوز مستمر لنفسه، والمكان الأصيل لهذا التجاوز هو الإدراك الحسي، ويهاجم بشدة رأي علم النفس التقليدي في الإدراك الحسي لكونه قائمًا على أساس معطيات حسية محضة.

ومن هنا فإن نظريته في الحرية الإنسانية تعتمد على نموها من خلال العمل التاريخي، والحرية متضمنة في قدرة الشعور الإنساني على موضعة مواقفه في سياق من تصرفات الفعل الممكنة، ويختلف مع سارتر في أن الحرية لا يمكن أن تكون شاملة وكلية، إنما تكتسب تدريجيًا، وتعدّ المعاني المقررة جماعيًا نقطة انطلاق.

وتُعدّ فلسفة ميرلوبونتي الجمالية خلاصة التحليل الفينومينولوجي للإدراك الحسي بوصفه رؤية للعالم والأشياء، لا ينفصل فيهما الذهن عن البدن أو المتخيل عن المحسوس أو اللامرئي عن المرئي، مما يجعل الفلسفة الجمالية فلسفة في معنى الرؤية ذاتها، بمعنى أن الرؤية هي موضوعها سواء أكانت الرؤية إبداعية من جانب الفنان أم رؤية المتلقي للعمل الفني، فالرؤية هي انفتاح على الأشياء أو عين حضور الأشياء ذاتها، وإنها ليست نمطًا من التفكير، إنما هي مجال من مجالات الجسد كاللمس والإحساس، ويبدأ الإدراك الحسي أولًا بالرؤية انطلاقًا من السطح المحسوس، ومن ثم تتوغل داخله، فالإنسان يدرك أولا العالم المحسوس ثم يتجاوزه دون أن يتخلى عن الرؤية ذاتها، واستطاع ميرلوبونتي بذلك أن يتجاوز المناقشات العقيمة حول الإبداع بوصفه نتاجًا لعبقرية ما، مؤكدًا العلاقة التبادلية بين الرائي والمرئي وخبرة الفنان، فالفن هو نتيجة احتكاك الفنان بعالمه، وهو يعير جسده للعالم محولًا العالم إلى رؤية حيث تكمن العملية الأكثر أهمية، وهي إعادة اهتداء الفنان إلى جسده بعد أن وزعه على العالم فيكتمل الجسر بين الفنان والعالم، وهذا الجسر هو الفاعل الحقيقي في العملية الفنية.

يخوض ميرلوبونتي معركة عنيفة مع الماركسيّين الفرنسيين الذين هاجموا المذهب الظواهري، لكنه على لرغم من ذلك لم يصل إلى الرفض المطلق للماركسية، ويرى أنه على الماركسية أن تُنقذ الوجودية من أزماتها، لا أن تخنقها وتقضي عليها .

عن المصري اليوم

ميرلو بونتي .. ظاهراتية الإدراك الحسي

ماري- ان ليسكورييه

ترجمة: الدكتور حسيب الياس حديد

فيلسوف فرنسي ولد في روشفور عام 1908 وتوفي في باريس عام 1961 ، يعد من المشيعين بالظاهراتية الهيجلية والهوسريلية . تحتل نتاجاته الفلسفية مكانة مرموقة في التيار الوجودي المعاصر . اشترك مع جون بول سارتر بإصدار نشرة بعنوان " الأزمنة الحديثة " ، كانت له نظرية جديدة للرؤية تتمحور في أن خاصية الظاهر تكمن فيما يخفيه الباطن . من أشهر مؤلفاته " بنية السلوك " 1942 ، " ظاهراتية الإدراك الحسي " 1945 ، " الظاهر والباطن " 1964 .

في عام ١٩٤٩ ، كان ميرلو بونتي قد بلغ الحادية والأربعين من العمر ، ترك وراءه وقتئذ " بنية السلوك " و " ظاهراتية الإدراك الحسي " ، وفي عام ١٩٤٥ كان قد منح شهادة دكتوراه دولة في هذين المؤلفين ومنح على إثرها مقعداً في جامعة ليون . وبعد قضائه أربع سنواتٍ في الرون ، عاد ميرلو بونتي إلى باريس حيث مكث ثلاث سنوات حاملاً لقب أستاذ علم النفس وطرق التدريس في السوربون ثم التحق بـ " كوليج دو فرانس " منذ عام ١٩٥٢ وحتى تاريخ وفاته عام ١٩٦١ .

وتعد محاضراته التي ألقاها في " كوليج دو فرانس " معروفة لدى المتتبعين كما يمكن اقتفاء أثرها من خلال الملاحظات التي جمعها ونشرها كلود لوفورت عام ١٩٦٨ (غاليمار) ولكن النقص الموجود في سلسلة محاضراته يكمن في تلك التي ألقاها خلال السنوات ١٩٤٩-١٩٥٢ إلا أنه تمت تغطيتها جزئياً من قبل طبعة " سينارا " التي تضمنت ملخصاً لتلكم المحاضرات بعنوان " ملاحظات في السوربون " . وأكد عدد من طلابه على ما جاء في تلك المحاضرات بعد اطلاعهم عليها ومنهم باربييه ماري – كلود يوجانيا وشامو ميشلين وكتبت أسماؤهم لدى الناشر . ومن الجدير بالذكر أن كتاباته عن الظاهراتية كانت عظيمة بالنسبة له وقد اتخذ من هوسريل مثلاً أعلى يحتذى به ، أما النظرية الجشتلطية فهي ركيزته واتخذ من الفلسفة أساساً راسخاً للرد وكذلك اعتماد التشويق والتجارب الماضية التي تتجاوز المعرفة الحقيقية كمنهج ثابت وهذه مسألة جديدة لاكتشاف طريقة جديدة للمعرفة بحيث لا تنفصل عن التجربة التي تبقى الفلسفة صفة ملازمة لها ، ثم العمل على اختبار رابع المستحيلات الذي يبقى دائماً مشكلة للفلسفة والوصول إلى جوهر الأمور ابتداءً من التجربة الكاملة للوجود .

وعلى الرغم من وجود المعوقات التي تعرقل البحث عن جوهر الأمور ، فإن ذلك يتزامن مع النفسانية – النزعة النفسانية في التفسير – (التي تهتم بالحالات المتعاقبة للضمير والنزعة المنطقية التي تحتقر كل ما هو خرافي) والتجريبية التي لا يمكن أن تنطلق إلا من الارتيابية الجوهرية ، لا بلٍ حتى الكوجيتو التي لا تعرف إلا نفسها ، وقد عمل ميرلو بونتي جاهداً لمعرفة المزيد فزجّ نفسه بالبحث لدى من درس " الانسان في الكون منهم المتخصصون في علم النفس " والتحليل النفسي والاقتصاد ، والاجتماع ، واللغة مما حدا به وضع علم البعض تحت تجربة علم الآخرين . فعلما النفس والاجتماع لا يمكن أن يقتصر الأول على الثاني كما لا يمكن أن يتنافيا ثم عمد ميرلو بونتي الدفاع عن الإدراك الواضح للتحليل النفسي وعلم الاجتماع اللذين يصبان في تيار فكري واحد ألا وهو التيار الأمريكي المتمثل بالحضارة .

يعد ميرلو بونتي أستاذا كبيراً إذ درس فكر الآخرين في مجالات شتى منها النقد واللغة وكذلك المواضيع المتعلقة بالنظرية الجشتلطية . ومن الأهمية بمكان أن نذكر أنه استقى مصادره من كاردنر وكوهلر ، اما في المواضيع اللغوية فقد اعتمد على ساسور وجاكوبسون وبياجيه فضلاً عن المراسلات بين هوسريل وفريك وكذلك كتاب جلبرت رايل بعنوان " مفهوم العقل " الذي صدر في حينه .

ولابد من الإشارة إلى ان ميرلو بونتي لم يتوقف عن هجومه ضد الدوغماتية وكذلك العلوم المنغلقة على نفسها . ويعتقد أن حيّز الفلسفة ليس في الأزل وإنما في التاريخ الذي يمكن التفكير فيه والمدرك والقصدي والديالكتيكي الذي يقدم نظاماً ومعنىً في نفس الوقت . وقد كشف ميرلو بونتي عن نفسه من خلال النصوص التي قدمها وعمل على تطوير المعرفة المتعلقة بظاهراتية الإدراك الحسي ، وذهب بعيداً في جملة التساؤلات التي عرضها في كتابه الأخير الذي رحل عن الدنيا ولم يكمله وتتضمن هذه التساؤلات المفاهيم التقليدية للفلسفة والكوجيتو والإدراك والجوهر والوجود . كما أنه صهر في كتابه الأخير وبصورة فريدة النقيضين التقليديين " الظاهر والباطن « .

عن مجلة نوفيل اوبزرفاتور الفرنسية

ماذا اعرف عن موريس ميرلو بونتي ؟ حين سمعت باسمه للمرة الاولى عام 1979 كنت في العقـد الثاني من عمري ، كان هو قد رحل عن عالمنا قبل ثمانية عشر عاما – توفي 1961 – وبفضل الدكتورة سعاد محمد خضر ، عرفت ان هذا الفيلسوف الذي لم يعش سوى " 53 " عاما لم يكن مجهولا مثلما توقعت ، بل أن اسـمه لا يزال يوضع بين اسـماء كبار فلاسفة القـرن العشرين ، وكتبه تحتل واجهات المكتبات ، ومازال المعجبون بافكاره يبحثون عن مؤلفاته ، لكن رغم كل المقدمة التي قدمتها لي الدكتورة سـعاد في ذلك اليوم المشمس مـن صباح شـهر تموز عام 1979 في مقر مجلة الثقافة ، عـن ميرلوبونتي وكتابه " المرئي واللامـرئي " الذي كانـت تترجم فصوله آنذاك - سـيصدر بعد اعوام عن دار الشـؤون الثقافية ضمن سلسلة المائة كتاب - إلا انني كنت اقول لنفسي : وماذا يكون هذا الفيلسوف إلى جانب جان بول سـارتر او البير كامو او سـيمون دي بوفوار مثلا ؟ واذا كان فيلسـوفا وجوديا كما تقول الدكتورة سـعاد فلماذا لايعرفه القراء العرب الذين كانوا منشغلين جدا بالفلسفة الوجودية وما جاء بعدها من البنيوية ولا منتمي كولن ويلسون ؟ .

ميرلو بونتي .. البحث عن وجودية كلها أمل

علي حسين

في حزيـران مـن عـام ١٩٢٧ سيلتقـي الشـاب ميرلـو بونتـي بالفتاة سيمون دي بوفـوار التي كانت آنذاك في التاسعـة عشـر من عمرها ، وكان هـو ايضا قد دخل عامه التاسـع عشر قبل ايام ، فهما مـن مواليد ١٩٠٨ ، يكبرها ميرلوبونتـي بشهريـن فقـط ، ولد هو في شهـر اذار من عـام ١٩٠٨ ، وولـدت هـي في شهـر آيار من نفـس العام ..سارتـر يكبرهما بثلاثة اعوام – مواليد ١٩٠٥ – كانت سيمـون دي بوفـوار تَدرس في السوربـون ، وميرلـو بونتـي طالبـا في مدرسة المعلمين العاليـة ، جاء ترتيبها الثانيـة في الامتحانات المشتركة في الفلسفة ، بينما جاء ترتيبـه الثالث ، في تلك الايام قـرر ميرلوبونتي التعرف علـى سيمون دي بوفـوار ، اراد أن يرى تلـك الفتاة التي تفوقت عليه فلسفيا . في روايتها " المثقفون " – ترجمها الى العربيـة جورج طرابيشي ، ثم اعادت ترجمتها ماري طـوق – " ستطلق بوفـوار في الرواية اسم " براديل على مِرلوبونتي حيث تصفه بانه يمتلك : " وجها صافيا جميـلاً ، ونظرات مخملية ، وله ضحكة تلميذ ، وذو مزاج لطيـف " ، وستقع في حبه منـذ النظرة الاولى وهي تجد الأمـر طبيعيـا ، فما مـن احد يشاهـد هذا الفتـى الوسيم والمـرح دون ان يقع في غرامه ، اما اللقـاء مع سارتر فقد تم اثناء الدراسة في دار المعلمين العالية ، في المقال الذي كتبه سارتر بعد رحيل ميرلوبونتي يخبرنا : " كنا نعرف بعضنـا البعض مـن غير ان نتعاشـر او نتصاحب ، وفي الجيشـ اصبحـت انا عريفـا واصبح هـو ضابط صف ، وغـاب كل منا عن انظـار الآخر . لكننا كنا نستعد من غير علـم منا ، للتلاقي ، فقـد كان كل منا يحاول ان يفهم العالم مـا استطاع الى ذلك سبيلا عـن طريق الوسائل الموجودة تحـت متناولـه . وكانـت وسائلنـا واحدة ، كانـت تدعى هوسـرل وهايدغـر ، لاننا كنا من وسط واحد " . لم يذكر سارتـر ان سيمون دي بوفوار دخلت ذات يوم الى المقهى بصحبة فتى مظهره انيق ، يبدو مزهوا بشخصيته ..في ذلـك اليوم سيسمع سارتر هذه الجملة المحيرة من ميرلو بونتي الشاب : " ان قدرتنـا على السعادة تتعلق بتوازن معـين بين ما أنكرته علينا طفولتنا ، وبين ما سلمت لنا به " ، سيخـبر ميرلـو بونتي الاصدقاء الذين تعرف عليهم في المقهـى أن الدهشـة هـي التـي اخذتـه الى الفلسفـة ، وسيحدثهـم عن غرامه بالفيلسوف بليـز باسكال ، يتذكر انه عثر على هذا الفيلسوف عندما كان في الخامسة عشر من عمره حين وقع بيده كتابه " الخواطر " ، وستنطبع هـذه العبارة التي كتبهـا باسكال في ذهـن ميرلو بونتي : " إن ربحـت تربـح كل شـيء ، وإن خسـرت لا تخسـر أي شـيء ، راهـن إذا دون تردد على انـه موجود " . كان باسـكال يصـف حياة الانسـان اليومية بانهـا تتقلب بين الملـل والقلـق ، والعبثية قبل كل شيء وهـو يكتب : " إن لم تستطـع أن ترى كم هو العالم عبث ، عليك إذا أن تكون انت نفسك عبثيا جدا " .

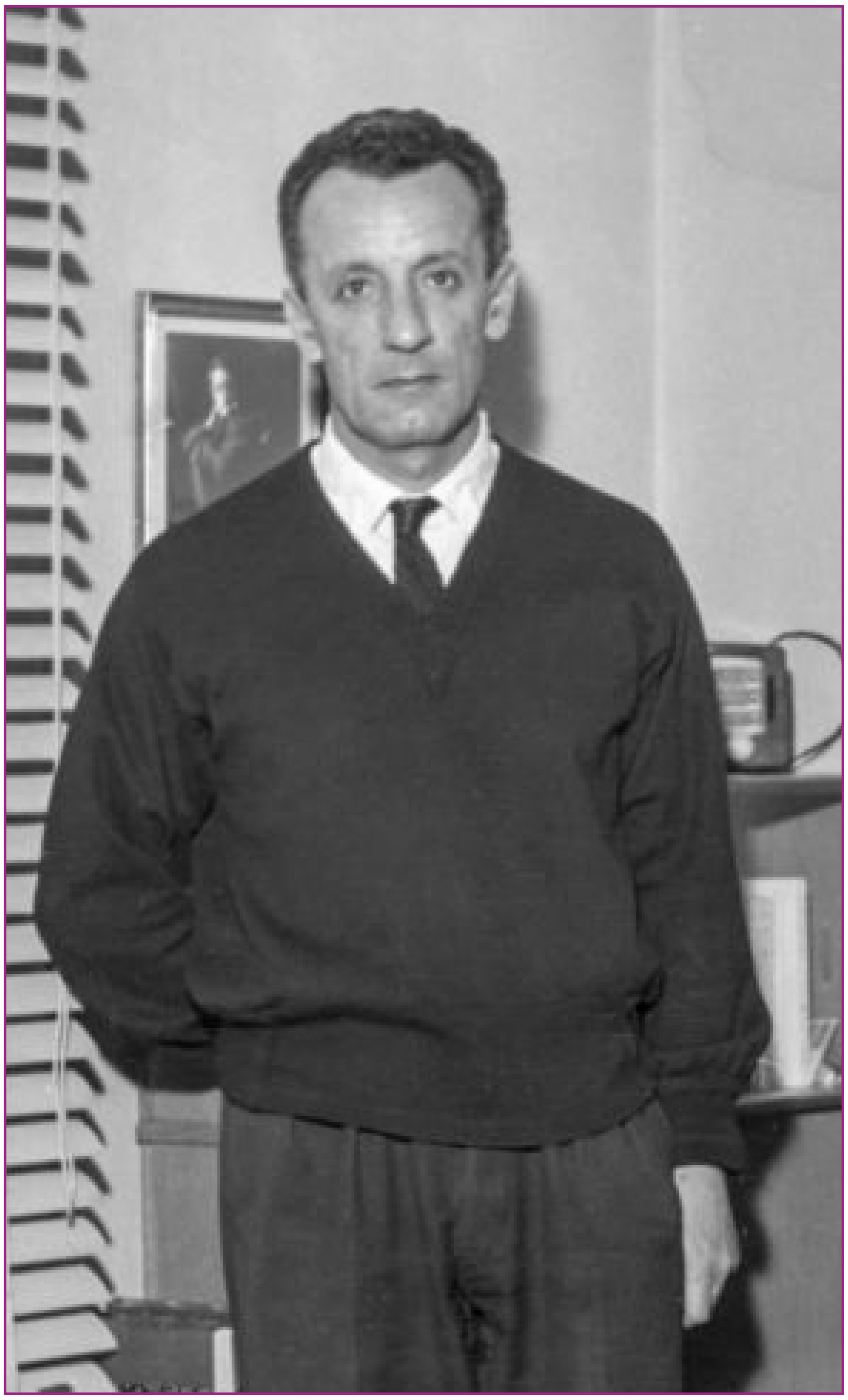

كان بليـز باسـكال المولـود في سنـة ١٦٢٣ لعائلـة يعمل معظـم ابنائهـا في سلـك القضـاء او العمـل في التجارة ، شغوفـا بالرياضيـات منذ صغـره ، وعندما بلـغ الثامنة قـرر الاب ان يمنـع ابنـه الصغـير ان يتحـدث اي حديث عـن الرياضيـات ، فمنع عنه معظم الكتب إلا بعد أن يتقن اللغتـين اليونانيـة واللاتينيـة ، في العاشـرة مـن عمره استطـاع باسـكال ان يتوصـل الى معرفـة ٣٢ مسألة من كتاب اقليدسـ في الهندسة، وفي الثانيـة عشر من عمره سيخـبر والده انـه قرأ في الخفـاء الكتـب الستة الاولى لاقليدسـ ، ولما بلغ السادسة عشر مـن عمره وضع كتابا في الهندسـة اثار اعجاب رينيه ديـكارت الذي كان يكبره بسبعـة وعشرين عاما ، في تلـك الفترة توجه الى دراسة الفيزيـاء والمنطق والفلسفـة ، وكان والده يعمل محاسبا ويجد في بعض الاوقات مشقة في جمع الارقام وتنظيمها ، فقـام الفتى بليز باختراع آلة حاسبـة تجري ايه عملية حسابيـة . وسيتعرضـ باسـكال الى تجربـة مثـيرة في العشريـن مـن عمره حيـث تعرض الى كسـر في الساق ، فتـولى علاجـه طبيـب كان يعتنق مذهـب جانسيينيوس ، وهـو مذهـب يقـترب مـن الصوفيـة المسيحيـة ، في شبابـه يسعـى باسكال الى وضـع الاسلـوب الاختباري مـن اجـل اصـلاح طريقـة ديـكارت النظريـة ، فديكارت يعتقـد ان التفكـير المنظـم يقـود الى المعرفـة المثلى وان العلـم الرياضي هـو مفتاح العالم . امـا باسكال فيرى ان الحقيقة تتعدى شتى الجوانب عقلنا القاصر وانه يتحتم علينـا ان نتوجه دومـا الى الطبيعة ونستنطقها ، فنعيش تجربـة الاختبـار . وهكذا فـان باسـكال بعـد ان يرفض اخضـاع التفكـير الى السلطـة الدينية ، وبعـد ان يسخر مـن نفـوذ القدمـاء وسلطتهـم ، نـراه يقف امـام حوادث الكـون المختلفـة يناقشهـا استنـادا الى اسـرار الطبيعة وقوانينهـا . وبهـذا يعارض ارسطـو وتلامذته ويخالف ديـكارت الـذي يريد ان يقيـم فلسفته على مجـرد التفكير ، وبرغـم ان باسـكال كان متدينـا إلا انـه اثـار الكثير من المناقشات التي ازعجـت الكنيسة حيث طالب بان يشارك عامة الناس بمناقشـة المسائل الدينية حتى الصعبة منها مؤمنـا ان العقل الانساني يستطيـع بحث معظم المشاكل الدينيـة ، وبهذا كانت افكاره تمهـد لظهور فلسفة فولتير ..تـوفي باسكال وهو في التاسعـة والثلاثين من عمره ، وقـد اصيب بمرض سرطان المعدة ، ويقال انه عندما مات وجـدت بعض صفحات من خواطره مخيطة داخل بطانة معطفـه . في مقدمة الترجمة الانكليزيـة لكتاب الخواطر يكتـب الشاعر ت.س .اليـوت : " معظم البشر كسالى ولا مبالـون وعبثيـون ولديهم عواطف فاتـرة . وهم بالتالي عاجـزون عن الشك والايمان " . يكتـب باسكال : " يجب ان نعرف انفسنا ، وإذا لم يفدنا ذلك في معرفة الحقيقية ، فهو على الاقل يساعدنا على تنظيم حياتنا ، وليس ما هو اكـثر صوابا من هذا . ما السبب في ان الاعرج لا يزعجنا ، فيما العقل الاعرج يثير حفيظتنا . السبب هو ان الاعرج يعـترف باننا نسـير في استقامة ، اماالعقـل الاعرج فإنه

يقول بأننا نحن الذين نعرج « .

يقول سارتر ان ميرلوبونتي عاش خلال حياته القصيرة ، مثل باسكال : " يبحث عن فردوسه المفقود ، كان يريد أن يفهم نفسه ، فهو يؤمن بان وجود الانسان لايتم إلا بالتوافق مع العالم وتفهمه : " المراقبة والفهم الدقيق للطريقة التي يشتغل بها هذا التوافق « .

ولد موريس جان جاك ميرلو بونتي في الرابع عشر من اذار عام ١٩٠٨ ومثل سارتر وكامو ، يموت والده الضابط في فيلق الشرف وهو في الخامسة من عمره ، وستتولى امه تربيته ، يتعلق بها ويغار عليها مثلما كان سارتر الطفل يفعل مع امه التي كانت تسميه " زوجي الصغير " ، كانت والدة ميرلو بونتي من عائلة غنية ، عاش طفولة سعيدة ، لكنها خجولة ، كان يتجنب الاسئلة التي تتعلق بحياته الجنسية ، فقد كان كتوما ، حتى قصة اعجاب سيمون دي بوفوار به اعتبرها مجرد مزحة : " فلا يمكن ان يلتقيا عقلين فلسفيين في فراش واحد " ، لكن هذا التحفظ والكتمان لم يمنع ميرلو بونتي من الارتبط ببعض الفتيات ، على الرغم من حرصه على ان يعيش حالة زوجية مستقرة ، فمن بين مغامراته كانت علاقته بسونيا براونيل ، لكن العلاقة لم تستمر طويلا ، اذ سرعان ما احبت سونيا رجلا يعاني من المرض لتتزوجه عام ١٩٤٩ ، وكان هذا الرجل اسمه جورج أورويل .

انهى دراسته الثانوية متفوقا ، ليلتحق بمدرسة المعلمين العالية والتي تخرج منها عام ١٩٣٠ ، يتم تعينه مدرسا للفلسفة في بعض المدارس الثانوية ، يلتحق بالجيش عام ١٩٣٩ ، وللفترة من ١٩٤٠ الى ١٩٤٤ ينضم الى صفوف المقاومة الفرنسية الى جانب كامو وسارتر وساهم بتحرير مطبوعات المقاومة ، ما ان تنهي الحرب العالمية الثانية حتى يتقدم لنيل شهادة الدكتوراة تحت اشراف استاذه اميل برهييه ، وكانت اطروحته بعنوان " ظاهراتية الادراك الحسي " والتي نشرت في كتاب عام ١٩٤٧ – ترجمه الى العربية فؤاد شاهين بعنوان ظواهرية الادراك – ، في هذا الكتاب سيمزج بين الفلسفة وعلم النفس ، حيث يصف لنا العناصر الاولى في الادراك : الاحاسيس ، البصر ، السمع وغيرها ، وصفا جديدا ، فهو يؤكد اننا حين ندرك ، انما نضفي المعاني على الاشياء ، وكل معنى يضطرب بين اللامعنى والمطلق ، وكان بهذا الكتاب متاثر جدا بفلسفة ادموند هوسرل " الظاهراتية " الذي حدد فيها الفيلسوف الالماني الشهير ان كل تفكير ينبغي ان يبدأ بالعودة الى وصف العالم الذي نعيش فيه ، ولهذا فنحن لا نستطيع أن نتبين وحدة اجسادنا التي نعيش بها دون ان نتبين وحدة الاشياء، وتتضح لنا حقيقة حواسنا في اللمس والنظر ابتداء من الاشياء، ويطلق هوسرل نداء فلسفيا : " لا تضيعوا الوقت في التساؤل عما اذا كانت هذه الاشياء حقيقية اذهبوا الى الاشياء نفسها « .

ويضرب موريس ميرلوبونتي مثلاً لذلك من أعمال الرسام الفرنسي بول سيزان ، فقد كان يبدو من لوحاتٍ سيزان في شبابه انه يسعى لتصوير التعبيراولاً . كانت اللوحات التي رسمها في بدء حياته الفنية نوعاً من التسجيل للتعبيرات مباشرة متخطياً الأشياء ذاتها . ولذلك فشل دائماً في محاولة التقاط هذه التعبيرات، وتعلم سيزان من هذه التجارب شيئاً فشيئاً ان التعبير هو لغة الشيء نفسه وانه يولد مع رسومه ومعالمه، لذلك اصبح التصوير عند سيزان محاولة مستمرة لبلوغ علامات الاشياء والوجوه عن طريق الاحياء المتكامل لرسومها ومعالمها الحسية، وهذا هو ما تؤديه الطبيعة ذاتها في كل لحظة، ولهذا يصح ان يقال ان المناظر التي صورها سيزان انما تنتمي إلى عالم سابق على هذا العالم حيث لم تظهر الناس بعد.

وهايدغر حاول ان يحدد المعنى الاشتقاقي لكلمة الظاهراتية فاشار إلى ان الظاهراتية تعني البحث عن معنى ما يظهر .

والمثير ان معظم فلاسفة الوجودية المعاصرين حاولوا التقرب من فلسفة هوسرل ، حتى ان سيمون دي بوفوار تكتب عام ١٩٣١ انها عجزت هي وسارتر آنذاك عن معرفة الفائدة الفلسفية لكلمة فينومينولوجيا – علم الظواهر . لكن سارتر سيلتهم فيما بعد مجلدا صغيرا لهوسرل ، ثم يقرر السفر الى برلين حيث يتعرف على الظاهراتية عن قرب ، وسيعود بعد عام وهو يحمل زادا جديدا ، ظاهراتية هوسرل مخلوط معها افكار فيلسوف دنماركي اسمه سورين كيركغارد ، مع احساس جديد بالعدم ، ليخرج لنا بفلسفة جديدة ستسمى وجودية سارتر .

بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، انضم ميرلو بونتي إلى سارتر ومجموعة من الكتاب لتأسيس مجلة فكرية وفلسفية اطلق عليها اسم " الأزمنة الحديثة " وهو الاسم الذي اقتبسه سارتر من فيلم شارلي شابلن الشهيرالذي كان سارتر وبوفوار يستمتعان بمشاهدته ، وقد كتب سارتر افتتاحية العدد الاول الصادر في ايلول عام ١٩٤٥ شرح فيها هدف المجلة : " باختصار، نيتنا هي العمل على إحراز تغييرات معينة في المجتمع المحيط بنا " ، ورغم ان سارتر كان يكتب معظم الافتتاحيات إلا ان ميرلو بونتي كان الاكثر نشاطا إذ كتب العديد من المقالات البعض منها من دون اسم .

ذات يوم من عام ١٩٤٥ يلقي سارتر محاضرة بعنوان " الوجودية نزعة انسانية " ، سرعان ما اصبحت اشبه ببيان تأسيسي للوجودية الفرنسية ، كانت محاضرة سارتر حدثا ثقافيا حيث خرجت الصحف صبيحة اليوم التالي بقصص عن هذه الفلسفة الجديدة التي اعلن من خلالها سارتر الوجودية تضع الانسان في مركز اهتماماتها .

في يوم ١٥ كانون الثاني عام ١٩٥٣ ، حضر جان بول سارتر محاضره لصديقه ميرلوبونتي كان يلقيها في الكوليج دي فرانس ، كانت هذه اول محاضرة له بعد وظيفته الجديدة مدرس للفلسفة ، في تلك المحاضرة اشار ميرلوبونتي الى ما يجري في العالم من احداث وطالب بان يبقى الفلاسفة يقظين .. عندما انتهت المحاضرة لم يقدم سارتر التهنئة لصديقة فقط قال له عبارة واحدة " كانت المحاضرة ظريفة " عاش سارتر ضد العمل في المؤسسات الرسمية ووجد في قبول ميرلوبونتي للمنصب الاستعداد لان يكون مدجنا داخل المؤسسة الحكومية . رفض سارتر من قبل التدريس في الكوليج دي فرانس .سينشر ميرلو بونتي محاضرته تحت عنوان " الصراع من أجل الوجودية " صاغ فيه اشبه بالرد على محاضرة سارتر " الوجودية فلسفة انسانية " فالوجودية بالنسبة لميرلو بونتي تحاول أن تبرهن أن الإنسان أكثر من مجموع القوى الاجتماعية والنفسية والجسدية. وميزتها بالتحديد أنها تحاول، من منطلق وجودي، أن تجد أسلوبًا للتفكير في وضعنا. أو بالمعنى أدفق ، فإن "الوجود" هو تلك الحركة التي عن طريقها يوجد الإنسان في العالم ويدمج نفسه في موقف اجتماعي وجسدي يتحول بعد ذلك إلى وجهة نظره عن العالم.

بعد اشهر ستندلع اول مواجهة بين الصديقين ، فقد نشرت الازمنة الحديثة مقالا مؤيدا للسوفيت ، وقد اصر ميرلوبونتي ان يكتب هامش تؤكد فيه المجلة أن الاراء الواردة في المقال لا تعبر عن راي هيئة التحرير ، إلا أن سارتر رفض الهامش وحذفه من المقال ، وتتذكر سيمون دي بوفوار ان ميرلو بونتي قال بحدة " اذن هذه هي النهاية " .انزعج سارتر من موقف صديقه وصرح ان تاريخ ميرلو بونتي الفلسفي والشخصي يكمن في الازمنة الحديثة ، ولا وجود له خارجها .

عام ١٩٥٣ يصدر كتابه " تقريظ الفلسفة " – ترجم الى العربية باكثر من ترجمة واحدة منها بعنوان تقريظ الحكمة – وفيه يتساءل ميرلوبونتي : ما هي مهمة الفلسفة ،إذا كانت قد بقيت لها مهمة ؟ فالعالم الذي نعيش فيه اليوم يتميز بسيطرة العلوم الطبيعية ، وامتداد مناهج البحث العلمي إلى العلوم الانسانية ايضا ، وهذا ما يسلب الفلسفة اهميتها في نتاول ومناقشة المشكلات ، وينتزع منها الدور الرئيسي الذي كانت تؤديه في الفكر البشري ، فهل انتهت الفلسفة ؟ يجيب ميرلو بونتي بالنفي ، فالفلسفة اصبحت في كل مكان ، حتى امتدت الى اعمالنا اليومية ، ومن الخطا القول بانها اصبحت معزولة عن الحياة ، لانها في الواقع تعيش في حياتنا . صحيح ان العلم اصبح المجال المهيمن ، ولكن الحياة نفسها ، الحياة المباشرة ، اصبحت فلسفية .ويحلل ميرلو بونتي وضع العالم الممزق بين عدة اتجاهات ومظاهر ، ليؤكد ان في هذا العالم بالذات تبرز اهمية الفلسفة في سعيها الى ان تعيد الوحدة الى هذا التشتت .وان ترمم كل صدع في الوجود ، يمكن ان ينشا عن هذا الضياع : " ان رسالة الفلسفة أن تضع معنى للعالم ، ولا نعني بذلك أن نكتشف هذا المعنى او نتخيله في مذهب معين ، على غرارٍ التجارب الفلسفية السابقة ، بل أن نبدع معنىً جديداً ، يكون الوحدة الجديدة للعالم " ويشرح ميرلو بونتي معنى الفلسفة بالنسبة إلى الانسان المعاصر فيكتب : " ليست مهمة الفلسفة ان تحلل لنا المشاكل او تفسرها ، او ان تبني العالم على اساس فكري معين ، بل ان وظيفتها الاساسية ، هي ان تعمق اندماجنا في الوجود ، وبذلك يتسع وعينا للكون ويصبح اكثر شموليا « .

سيشعر ميرلو بونتي باليتم للمرة الاولى وهو في الخامسة والاربعين من عمرة عندما ماتت والدته عام ١٩٥٣ وسيتذكر خواطر باسكال : " ان العيش في هذه الدنيا هو مسلك يؤدي الى سفر ابدي وانها لا تملك من الوقت للتأهب له من غير زمن وجيز مدة عيشها في هذا الوجود « .

العام ١٩٥٥ سيكون عام الصدام الكبير مع سارتر ، حيث نشر ميرلو بونتي كتابة " مغامرات الجدل " والذي خصص فيه فصلا طويلا عن صديقه بعنوان " سارتر والبلشفية المتطرفة " تناول فيه كتابات سارتر السياسية ودفاعه عن الاتحاد السوفيتي ، وقد كان موقف ميرلوبونتي مطابقا لموقف البير كامو الذي كان قد اعلن القطيعة مع سارتر ، قبل هذا التاريخ كان ميرلوبنتي مؤيدا للسوفييت ، وفي كتابه الفلسفة الانسانية والارهاب الذي صدر عام ١٩٤٧ دافع عن ضرورة العنف لبناء دولة شيوعية والحفاظ عليها ضد أعداء يحدقون بها ومصممون على تدميرها. المثير في الامر أن سارتر لم يرد وانما ردت سيمون دي بوفوار بمقال حمل عنوان " ميرلوبونتي والسارترية الزائفة" . لكن سارتر سيكتب بعد رحيل ميرلو بونتي : " كان يعتقد انه ظل صادقا مع نفسه وانني خنته « .

عاش ميرلوبونتي حياة فيلسوف وجودي ، لكنه فيلسوف عنيد ، ملتزم باليسار ، مدافعا عن قضايا السلام العالمي ، وعن حقوق العمال ، اضافة الى ادانته للاستعمار بشتى صوره والوانه ، ولهذا تبدو وجودية ميرلو بونتي ، وجودية ملتزمة ، اصرت على تخليص الوجودية من نزعاتها الفردية ، استخدمت الادراك الحسي كوسيلة يتعرف من خلالها الانسان على عالمه المعاش ، إلا انها في الوقت نفسه لم تستبعد دور العقل في التحليل والتامل ، كما ان ميرلو بونتي ينفرد عن الفلاسفة الوجوديين باحتلال موضوعة الغير مكانة متميزة لديه . كان سارتر يرى ان العلاقة مع الاخرين هي في كوني اجعل من الآخر موضوعا ، على ان احيل من نفسي ذات ، ويرفض ميرلو بونتي هذه العلاقة التي كان يعتبرها ضيقة الافق ، ويقرر ان العلاقة بيني وبين الآخر هي علاقة مشاركة ، إذ ان الآخر بالنسبة لي ليس مجهولا ، وعندما افسر ذاتي فان هذا لن يتاتى إلا بمقارنة هذه الذات بالاخرين ، ونجده يقول : " تركت وحدي حرا بين الالم والمتعة وليس حرا في ان اجهل الآخرين " ، ويذهب ميرلو بونتي ابعد من ذلك حين يؤكد ان الحرية لم تكن حريتي او حريتك بقدر ما كانت حريتنا جميعا ، في المقابل نجد فكرة الالتزام عنده هي نوع من التفاعل بين الداخل والخارج ، بين الوعي الذاتي الحر وبين وعي الآخرين ، اذ ان الالتزام من جانبي لن يعني في هذه الحالة الخضوع لاية سلطة كانت بل سيكون بمثابة تنظيم واع لفعلي الحر حتى يصير له معنى ، حيث اني في ممارستي لهذه الحرية ساجد ما ينبع من داخلي وعي وليس هناك شيئا ما يمكنه ان يثقل على فعلي او يخضع له ، ومن هننا تبدو فلسفة ميرلوبونتي فلسفة وجودية ملتزمة ، فلسفة تأمل للمعنى والدلالات ، اراد من خلالها تخليص الفلسفة الوجودية من نزعتها الفردية المتطرفة وتتيح للانسان ان يفتح قلبه وعقله على العالم والغير : " على الفيلسوف ان ياخذ على عاتقه قول كل شيء ملتمسا في حديثه الوضوح والصراحة ، وليس من شأن الفيلسوف ان يخدع الناس ، فان الروح الفلسفية هي اعدى اعداء الكذب والخداع « .

كان كتاب " المرئي واللامرئي " هو المشروع الفلسفي الاكبر بالنسبة لميرلو بونتي ، إلا ان الكتاب لم ينشر خلال حياته ، وقد جمعه تلميذه "كلود لوفور " عام ١٩٦٤ بعد ثلاث سنوات على رحيله ، والكتاب كان سلسلة محاضرات مثله مثل معظم كتب ميرلو بونتي الذي ظل طوال حياته يعتبر الفلسفة خطب اكثر منها كتابات ، ولهذا كان شأنه شأن سقراط يثير الاسئلة ، والكتاب مجموعة من الدروس القيت بين اعوام ١٩٥٦ –١٩٦٠ جعلت من علاقة الانسان بالطبيعة محورا لها ، ويحاول ميرلو بونتي من خلال كتابه هذا ان يطرح الجدل الذي دفع الغرب الى التساؤول حول القطيعة الاساسية بين الانسان والطبيعة ، لقد حاول ميرلو بونتي في " المرئي واللامرئي " ان يطرح جميع التساؤلات عن الانسان والعدم والفكر والوجود واللغة والحياة والموت .

..وفي سنواته الاخرة عاش ميرلوبونتي نصف ميت كما قال لسيمون دي بوفوار وهي تشاهده بعد وفاة والدته التي كانت مصدر حياته السعيدة .. أصدر عددا قليلا من الكتب منها دراسة بعنوان " العين والعقل ، " وقد اعيد نشرها بالعدد الخاص الذي اصدرته الازمنة الحديثة لتكريمه بعد وفاته ، وستنشر فيما بعد في كتاب – ترجمه الى العربية حبيب الشاروني - .

يكتب بول ريكور الذي كان أحد طلبة ميرلو بونتي في وصف استاذه : " عام ١٩٣٥ اعطى اول دروسه في الكوليج دي فرانس ، وقد كان هاديء نسبيا ، لكن تفكيره ظل يشغلنا باستمرار حتى بعد رحيله المبكر لا يزال الاهتمام به متجددا «..

ميرلو بونتي فلسفة في ظل سارتر وضده

إبراهيم العريس

"بالكاد يبلغ عدد صفحاته مئة، ذلك النصّ الذي أصرّ المفكر الفرنسي موريس ميرلو بونتي على أن لا تنتهي حياته من دون أن يستكمله. وهكذا نجده خلال الأشهر الأخيرة من حياته يبتعد عن باريس، وعن كل ما له علاقة بالصخب والتدريس والسجالات الفكرية، عميقة كانت أو تقنية، لينفرد بنفسه ويكتب "العين والروح" على شكل وصية "فنية" أخيرة. فهناك كان الكاتب يمضي أوقاته وحيداً في رفقة الطبيعة وذكريات الرسام سيزان، الذي كثيراً ما رسمها في تلك الأمكنة نفسها المحيطة بالبيت الريفي."

ومن هنا، لن يفوت قارئ الكتاب أن يرى ظلّين كبيرين يخيمان عليه: ظل سيزان نفسه، باعتباره مادة أساسية للتفكير في الموضوع، وظل جان بول سارتر بوصفه حاجزاً في هذا الميدان، لا تحلو الحياة الفكرية من دون تجاوزه. وكان من الواضح أن هذا كان الطموح الأخير لميرلو بونتي، ولو في عمق وعيه الباطني.

الكتاب عبارة عن تأمّل في قضيةٍ الفن بالتحديد، سيقول كثر إن ميرلو بونتي فكّر دائماً في كتابته، لكنه لم يجد ما يكفيه من الوقت. وكان من الواضح أن ما وضعه هذا المفكر نصب عينيه حينها كان تجاوز ما لا يقل عن كتابين قديمين، إنما أساسيان لسارتر: "الخيال" و"المتخيّل"، لكن ليس للرد عليهما أو معارضتهما، بل بالأحرى للتساوي مرة أخرى مع سارتر في مجال إضافي.

نظرة إلى المفكر لا إلى أفكاره

في هذا الكتاب، وبشكلٍ أساسي راح بونتي يطرح تساؤلاته، السيزانية غالباً كما أشرنا، على الرؤية، رؤية الفنان ورؤية الإنسان العادي (المتلقّي، الذي كان دائماً محل اهتمامه) في العلاقة مع الرسم، بالتالي العلاقة بين المخيلة والعقل، تلك العلاقة التي تنبني خصوصاً من طريق العمل الفني في تفاوضه الدائم مع المبدع ونظرة هذا الأخير إلى موضوعه الذي قد يكون الطبيعة، لكن قد يكون كذلك الجسم البشري أيضاً "تلك المعجزة الصغيرة" حسب ميرلو بونتي، التي يثبتها الفن على مسطح اللوحة بشكل يعطيها حياة إضافية غير حياتها الفانية.

والحقيقة، أن الكاتب يبدو واضحاً هنا في إدراكه كونه يخوض موضوعاً متشعباً، ما يجعله بحاجة إلى مجلدات كي يتمكّن من إيصال الموضوع برمته إلى قارئه، ومن هنا ما يبدو على هذا النص من كونه أشبه بأن يكون خطوطاً أولية مكثفة تحتاج إلى صفحات طويلة، لكي تتحوّل كل عبارة فيها إلى مرافعة حقيقية مقنعة عن الفن وعلاقته الحقيقية بالروح من ناحية، وبالعين من ناحية ثانية.

ومن هنا صعوبة هذا الكتاب وعدم شعبيته، حتى وإن كان ثمة كثر بين قراء ميرلو بونتي قد قرأوه وأثنوا عليه، إنما من دون أن يقول أيّ منهم إنه تمكّن فيه من مضاهاة سارتر. ولم يكن هذا هو المهم هنا على أي حال. المهم هو أننا في حضرة "العين والروح" أمام واحدة من تلك التدخلات الفطنة والأريحية التي يحلو للفلاسفة ممارستها بين الحين والآخر داخل مجالات جمالية بعيداً عن تخصصاتهم التقنية البحتة.

ويقيننا، أن القيمة الحقيقية والأساسية لكتاب ميرلو بونتي الأخير هذا تكمن في هذا السياق بالتحديد، بحيث إن من يقرأه يطل إطلالاتٍ إضافية على عوالم وأفكار هذا الفيلسوف بأكثر كثيراً مما يطلّ على فلسفة الفن نفسها، أو يستزيد من العلاقة التي يقيمها الكتاب بين الروح والعين والفن.

العودة إلى بونتي مستقلاً

ولعل هذا الأمر يبدو لنا بالغ الأهمية هنا، انطلاقاً من فكرة أن كل شيء في الفلسفة الفرنسية، منذ أواسط القرن العشرين، وحتى رحيل جان بول سارتر، كان يدور من حول هذا الأخير، بالتوافق أو بالتضاد معه، بالتالي فإنّ هذه الاستفاضة في التمعّن في حياة ميرلو بونتي وفكره، تغدو مهمة نظراً إلى أن هذين لم يعالجا فترة طويلة من الزمن إلا من خلال احتكاكه بسارتر، صداقته له، ثم خلافه معه إثر نشره كتابه الأشهر "مغامرات الجدل" (١٩٥٥). لكن. مهما يكن لا بدّ من تأكيد أنه منذ رحيل سارتر وبعد عودة الأمور إلى نصابها بالتدريج، بدأت الأوساط العلمية الفلسفية الفرنسية تعتاد النظر إلى ميرلو بونتي بشكل مستقل تماماً عن نظرها إلى سارتر، وبدأت تكتشف أنه إذا كان ثمة مفكر فرنسي في أواسط القرن العشرين يستحق، حقّاً، لقب فيلسوف بالمعنى السقراطي الأنيق للكلمة، فإنّ هذا المفكر لن يكون سوى ميرلو بونتي نفسه، شرط أن يتخلّص من شبح سارتر، وأن تُعتبر علاقته بهذا الأخير، ونزعته الوجودية، ومشاركته في رئاسة تحرير مجلة سارتر "الأزمنة الحديثة" ذات حقبة، أموراً طارئة، غير أساسية في حياته وعمله.

سقراطية ميرلو بونتي

والحقيقة، أن ميرلو بونتي، المولود في روشفور عامٍ ١٩٠٨، والراحل في باريس عام ١٩٦١، كان سقراطيا لا سارتريا، حتى وإن شارك سارتر تتلمذه الأساسي على أنثروبولوجيا كانت وظواهرية هوسرل. فالشغل الشاغل لميرلو بونتي كان الإنسان، وبخاصة في علاقته بالطبيعة، وهذا أمر ازداد الإلحاح عليه، خصوصاً بعد أن نُشر في باريس كتابٌ في نحو ٤٠٠ صفحة، يضم الدروس الشفهية التي كان ميرلو بونتي يعطيها لتلامذته في "الكوليج دي فرانس" بين ١٩٥٦ و١٩٦٠، التي جعلت علاقة الإنسان بالطبيعة محوراً لها، ومن هنا أتى عنوان الكتاب "الطبيعة».

هذا الكتاب، الذي أتى مستكملاً ومثوِّراً النظرة التي كانت تلقى على ميرلو بونتي من خلال كتبه الرئيسة مثل "فينومينولوجيا الإدراك" (١٩٤٧)، و"في مديح الفلسفة" (١٩٥٣)، و"العين والروح" (١٩٦٤)، و"المرئي واللامرئي" (١٩٦٤)، هذا الكتاب أتى ليؤكد سقراطية ميرلو بونتي، من خلال تأكيده أن الإنسان هو وعيه، في ما تكمن الطبيعة في عفويتها وفطرتها.

ومن هنا فإن بين "الطبيعة والإنسان شرخ من المستحيل رتقه"، فالطبيعة ليست الإنسان، والإنسان ليس الطبيعة. وانطلاقاً من هنا يوضح ميرلو بونتي في محاضراته تلك الجدل الذي دفع الغرب إلى التساؤل حول القطيعة الأساسية بين الإنسان والطبيعة، وإلى دراسة "الطبيعة البشرية"، انطلاقاً من أبعاد تختلف عن أبعاد العلم الدارويني والأنثربولوجيا الكانتية.

وانطلاقاً من مثل هذا التحليل يبرهن ميرلو بونتي على أنّ ثمة انقلاباً ها هنا، "إذ بعد أن دخل الإنسان في الطبيعة أول الأمر، حدثت حركة معاكسة هي حركة الطبيعة التي دخلت في الإنسان" فصارت جزءاً من وعيه.

دردشات بين أصدقاء

هذا التحليل رسمه ميرلو بونتي، كما كان من شأن سقراط أن يفعل، بصورةٍ شفهية أي أنه لم يدوّنه أبداً. وهو في هذا أعطى روحاً جديدة لتدريس الفلسفة وربطها بالروح السقراطية، حيث لم يعد الدرس الفلسفي نصّاً يُقرأ ويحاوَر، بل صار "دردشة" بين أصدقاء يسودها روح السخرية والتساؤل الخلاق (وهنا، ها نحن مرة أخرى في قلب النزعة السقراطية).

ويقول المتحدثون اليوم عن هذا الاكتشاف الجديد لميرلو بونتي إن الفيلسوف، من خلال أسلوبه التعليمي هذا بدا وكأنه أدرك حقّاً الغاية الأساسية من إقامة صرح لتدريس الفكر: مكاناً يندفع فيه المفكر، وقد تحرر من الأطر الجامعية الرسمية المكبلة، في عملية تفكير منفرد دائم، شفهي يقوده إلى إلقاء كاشفات ضوء مفاجئة على مناطق ظل في الفكر، لم يكن أحد اشتبه بأن لها وجوداً من قبل.

وهذا ما جعل سيمون دي بوفوار تقول عنه، في الماضي، وقد أدركت حقّاً مغزى توجهه العملي والفكري "أنك لتستشعر في كتابه (مغامرات الجدل) حنيناً إلى عصر ذهبي للثورة، لا يقع لا في واقع الأشياء، ولا في الماركسية التي تحدق في هذا الواقع من كثب، بل فقط في الحياة الداخلية لميرلو بونتي نفسه"، ولنضف نحن هنا، استناداً إلى "العين والروح"، هذا الكتاب الذي توقفنا عنده: "... بل في المكان الأمثل ليكون وسيطاً حقيقياً بين الإنسان والطبيعة، أي الفن».

عن / اندبندنت عربية

«تحوّلات الفينومينولوجيا»: الإقامة في مرايا ميرلو بونتي

شوقي بن حسن

> الفلسفة بمعنىً ما هي تاريخُها؛ إنها ذلك الجدل المستمر بين المتداخلين فيها ضمن تراكم فكري لا يستقر على ثباتٍ. ينسحب هذا المنظور على فروع الفلسفة أيضاً، كالفينومينولوجيا، رغم تاريخها القصير.

في كتابه "تحوّلات الفينومينولوجيا المعاصرة.. ميرلوبونتي في مناظرة هوسرل وهايدغر"، الصادر عن "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" (٢٠١٥)، ينقل لنا الباحث الجزائري محمد بن سباع (١٩٨٠) قطعة من سجال الفلسفة. سجال ثلاثة فلاسفة يلتقون في دائرة الفينومينولوجيا، غير أن منطلقاتهم المختلفة جعلتهم يصلون إلى مقاربات متنوّعة للعالم، وحتى للفينومينولوجيا ذاتها.

تبدأ قصّة هذا المجال من نهايات القرن التاسع عشر. فلحل ما أسماه "أزمة العلوم الأوروبية"، ومن ورائها أزمة الفكر عموماً، طوّر الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل (١٨٥٩ - ١٩٣٨) منهجاً سماه بالفينومينولوجيا، حيث فكّر في العودة إلى الأساس الأول والمطلق الذي تقوم عليه معارفنا، والذي أجمله في "خبرة الأنا المتعالي».

رأى هوسرل بأن "العالم قد جرى تهميشه بإحلال عالم الطبيعة محلّه (..) وتم إحلال الحدس الهندسي محل الحدس الأصلي الكامن فيه. وبالتالي، أصبحت الصيغ الرياضية غطاءً يحجب عالم المعيش بكل ما يحمله هذا العالم من تجارب وحقائق».

جاء تلميذه مارتن هايدغر (١٨٨٩ - ١٩٧٦) بمطمح أكبر حين حاول توظيف مقاربة هوسرل لحل "معضلة الوجود"، محوّلا الفينومينولوجيا من دراسة ماهية الظواهر إلى دراسة ظاهرة الماهية (مبحث الوجود).

حين وصلت الفينومينولوجيا إلى فرنسا، انقسم المهتّمون بين توجّهَي هوسرل وهايدغر: بعضهم ولّى وجهه صوب دراسة المشكلات المعرفية (الفينومينولوجيا المتعالية) وبعضهم الآخر اتجه بأدواتها للبحث في مسألة الوجود (الوجوديون).

موريس ميرلوبوتي (١٩٠٨ - ١٩٦١) وقف بعيداً عن هذا الاستقطاب الثنائي، إذ اعتبر أن الفصل الذي حدث بين المعرفة والوجود غيرٍ ممكن، وستُفضي مقارباته الى تطويره تعريفاً جديداً للفينومينولوجيا يسعى مؤلّف الكتاب، الذي نحن بصدده، إلى إظهار معالمه، وهو الذي يعتبر بأن ميرلوبونتي "حوّل الفينومينولوجيا من سؤال الفلسفة إلى فلسفة السؤال».

من أجل جَسر الهوّة بين المقاربتين، قال ميرلوبونتي بأنه ينبغي العودة إلى "الجسد" والنظر إلى كل القضايا من خلاله. الجسد الذي هو "وسيلة وجودنا في العالم والذي يربط بين الوعي والعالم". بغياب هذه النظرة إلى "أداة الإدراك"، كانت الفلسفات ترى العالم في "انفصالنا عنه وليس باتصالنا به". هكذا حاول الفيلسوف الفرنسي إنهاء "التعالي على الأشياء" وافتتاح تجربة "الإقامة فيها».

على مدى الكتاب، ينقلنا المؤلّف من قضية فلسفية إلى أخرى (اللغة، الحرية، الميتافيزيقا، الجسد، التقنية، التاريخ...) ضمن نفس اللعبة الثلاثية التي ترصد اختلاف كل فيلسوف مع البقية.

فحين ينفي هوسرل وجود الإدراك الخارجي مقابل الإدراك الداخلي، فإن ميرلوبونتي يوضّح أن الادراك الحسي هو رابط بين الداخل والخارج (الوعي والعالم)، وإذا كان هايدغر ينظر إلى الأشياء على أنها وسائل أو أدوات يستخدمها الدزاين (الوجود الآن/هنا)، فإن ميرلوبونتي ينظر إليها كموجودات معنا في العالم ولا يمكن أن يكتمل معنى الوجود إلا معها.

يعرض بن سباع في آخر فصول الكتاب "آفاق الفينومنولوجيا الجديدة" تطبيقات لأفكار ميرلوبونتي في معارف متنوّعة، لعل أهمها ما يسمّيه المؤلف "استئناف القول الفلسفي للحداثة" أو "الكوجيطو الجديد"؛ حيث أن طرحه يقدّم إمكانيات للتأويل والتفكيك غير ممكنة استناداً للكوجيطو الديكارتي، وهو ما يبرزه ميرلوبونتي بتساؤله في كتاب له بعنوان "نثر العالم" يقول فيه "لماذا نضع حدوداً بين ما يجري التفكير فيه وما به يتم التفكير؟" جاعلاً من الأنا الشهير في عبارة "أنا أفكر إذن أنا موجود" أنا متجسّداً.

يخرج بن سباع أيضاً بتطبيقات الفينومنولوجيا الجديدة بعيداً عن الفلسفة، اذ يبيّن كيف ساهمت مقولات ميرلوبونتي حول الإدراك في فهم بنية السلوك من خلال تحليله "خبرتنا كما هي". أما في علم الاجتماع، فيركّز على دعوته للنظر إلى الفلسفة وعلم الاجتماع في تكاملهما وتداخلهما لا في انفصالهما، لأن هذا الانفصال لا يقدّم خدمة إلى أي منهما، بل "إن الفلسفة وعلم الاجتماع سيقضي كل واحد منهما على الآخر"، كما ورد في كتابه "علامات».

يعرّج بنا المؤلف أيضاً على مواقف ميرلوبونتي السياسية ومرتكزاتها الفلسفية، حيث يستفيد صاحب كتاب "تقريظ الحكمة" من مقاربته الفينومينولوجية للحرية، ليقر بأن صيغتها المسوّق لها في الغرب ليست حرية كاملة، لأن الحرية ليست منفصلة عن العالم وإنما متّصلة به، وهي التي تثبت وجودنا الفعلي مع الأشياء والآخرين في العالم. ويلاحظ ميرلوبونتي بأن ثمّة انفصالاً بين السياسة والفلسفة هو نتيجة لسوء فهم للفلسفة، وصولاً إلى قوله بأن "الثورات صادقة كحركات، لكنها باطلة كأنظمة».

تكاد هذه المواقف تجسّد فكرة الاتصال بالعالم المحورية في فينومينولوجيا ميرلوبونتي، وبذلك فهي تتناغم مع تنظيرات الفيلسوف الفرنسي الذي هدف لوضع "فلسفة تنظر إلى العالم على أنه دائماً هنا"، وتدعو إلى العودة إليه وإلى الاتصال به كما قال في كتابه "فينومينولوجيا الإدراك»

عن العربي الجديد

manarat
www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

المدى

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

الآخر بين سارتر وميرلو بونتي

عبدالنور شرقي

تتشكل العلاقات الانسانية من مجموعة ذوات، فلا يمكن أن تتصور حياة معزولة عن الآخرين، وهذا ما عبر عنه علماء الاجتماع من أمثال اميل دوركايم بقولهم "أن الانسان اجتماعي بطبعه يهدف إلى صنع المجتمع من خلال تعامله مع غيره من الناس". هذه الفكرة تناولها معظ الوجوديين نجد هيدغر يتطرق في حديثه عن العلاقة التي تربط الآنية بغيرها من الذوات من ثم يفرق بين الوجود الأصيل والوجود الزائف.

اما سارتر فإنه يرى في الآخر سلبا للحرية فالإنسان ينتابه هذا الشعور كلما أحس بنظرات الغير تقصده او تراقب أفعاله وتصرفاته لهذا ليس غريبا أن يعلن أن : حيث نجد أن الآخر يفرض على الانسان الوجود الذي يرضيه ويتماشى مع طموحاته وأفكاره وهذا من شانه أن يعيق كل ابداعات والسمات التي هي ميزة الانسان في حد ذاته، لهذا يرى سارتر أن الحب مشروع لا يمكن تحقيقه وما هو إلا محاولة للسيطرة على الآخر، ونفس الشيء عندما يحبني الآخر فإنني بالنسبة اليه موضوع، باستطاعتي أن أؤثر في حرية الآخر بطريقة تجعلني أمتلكه كما امتلك شيئا آخر وهذا ما قصده سارتر في قوله ، إنه يريد امتلاك حرية بما هي حرية .

الآخر بهذا المعنى يمثل الوجود السابق للوجود الانساني وللوقوف في وجهه لابد حسب سارتر اني أستمر في ان أنكر على نفسي بانني الغير، وأخيرا فإن مشروع التوحيد هو مصدر نزاع باعتبار ان وجود الآخرين الذي يحتلون وجودنا يؤدي إلى معاناتنا فهم يخلقون لنا وجود غير وجودنا <<فالآخر لا يكشف لي الحالة التي لايكون عليها فحسب وانما يجعل مني كائنا جديدا يحمل أوصافا جديدة>> .

في مقابل ذلك نجد أن ميرلوبونتي يولي أهمية لمسألة الآخر وهذا ما نلمسه في تحليله الفينومينولوجي للجسد، << فالآخر ضروري بالنسبة لي لانني لا أستطيع أن أكون حرا بمفردي، ولا اكون واعيا بمفردي ولا أكون انسانا بمفردي >> فإذا ما تساءلت فإنني أجد هذا الشخص الآخر الذي يعتبر ثان بالنسبة لي حيث أعرفه منذ البداية لانه جسمه الحي له نفس بنية جسمي.

يعتبر جسم الآخر بمثابة موضوع يشكل مع جسمي كلا واحدا فهو امتداد لجسمي تماما مثلما تعمل العينان بالعمل المشترك، في نقل صورة واحدة، لذلك فإنني أشعر حسب ميرلوبونتي بان الآخر جسمه خاصا مماثلا في تكوينه الجسمي، وقد أهيب بالآخر أن يأتي لمساعدتي هلى القيام بعمل مشترك وفي هذه الحالة يكون جسم الاخر قد اتضاف إلى جسمي مكونا كلا واحدا.

وبمجرد حديثي مع الآخر يكون اتصال حقيقي به وهو ضرب من المشاركة الفعلية تلتقي فيها الذات بالآخر<< إننا ندرك الغير عن طريق التواجد معا>> ولا يكاد أحدنا ان يشرع في القيام بعمل مشترك مع الآخر حتى ينشأ بيننا ضرب من الاتصال >> حيث يوجد حضور دائم للآخر ولا يمكن تهميشه أو تغييبه << ... والحاجز بيننا وبين الغير دقيق جدا إذا كان هناك قطيعة فليست بيني وبين الآخر...>> فالغير وجسمي يولدان معا إلى الوجود الأصلي .

إذا كان الآخر يمثل سلبا للحرية بالنسبة لسارتر فهذا راجع إلى اعتقاده ان الانسان يتمتع بالحرية المطلقة التي لا تحدها حدود وهذا ما جعله يثور على الآخر ويؤكد على تحطيم وجوده من أجل اثبات هذه الحرية غير أنه ما برح ان تنازل عن هذا الطرح وأصبح أقل دعوة للحرية المطلقة وهذا ما يظهر في مؤلفاته المتأخرة "نقد العقل الجدلي" و "الوجودية نزعة انسانية" ليصبح بذلك الالتزام والاحترام شرطا ضروريا للحرية، حيث يقول << إن الغير هو أمر ضروري لا غنى عنه لوجودي>> كما يقول أيضا <<إن تحركات جسد الغير يأتي لتؤلف كلا استخلاصيا مع اضطراب جسمنا "

عن الحوار المتمدن